



القتلة الصغار، هم قطيع الطاغية، ومطاباً السياسة، وأنعام الإيديولوجيات المظلمة، وقد جعلهم القرآن مرةً أحيطَ من الأنعام، إذ وصفهم بأنهم "لهم قلوب لا يفهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون"، وجعل لهم القرآن مرةً أخرى الكلب مثلاً، بما هم تبع لأهوائهم، إذ تندعُم تماماً القيم الصالحة، والمعايير الرافعة للكرامة الأدمية، والمرتفعة بمعرفة الحق والانحياز إليه، ويظل فقط الهوى، قائداً وسافلاً بصاحبِه، المنسلخ من الآيات المبينة.

فإذا كان الكلب لهنّا على كلّ حال، فإن القاتل الصغير أعمى القلب ميت الفؤاد شقي منكود يصطلي صدره غيظاً وكراهاً على كل حال، يلهث بالحقد على كل حال، وإن كانت أحوال الحرب تزيده لهنّاً أو تخرج لهنّاً صدره على لسانه "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبّعه الشيطان فكان من الغاوين (*) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخذ إلى الأرض واتّبع هواه فمثّله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.."، إنه على كل حال مختوم على سمعه وقلبه، وعلى بصره غشاوة.

وإذا كان الإنسان مكرّماً في أصل إيجاده، فإنّ الدين ما جاء إلا للحفظ على هذه الكرامة من الانحطاط في مدارك البهيمية تلك، حينما يعطّل الهوى، والشهوات الممسورة، والغرائز البدائية، حواسّ الإنسان عن إفادته بالوعي، فيصير الإنسان كالأنعام، لا تقدم له عيناه وأذناته أي إضافة عمّا تقدمه هذه الحواس لأي دابة أخرى دون الخلق الأدمي المكرّم، بل هو أضل، إذ إن الأنعام غير مزوّدة بالقدرة المدركة القادرة على الإفاده من حواسها بما يتجاوز وظائفها الأولية، أو بما يجعلها قادرة على إنتاج الوعي بالحقيقة، والتمييز ما بين الحقّ والباطل، بينما الإنسان مزوّد بتلك القدرة، وحينما يعطّلها بهواه، فهو أضل من الأنعام، وحواسه وعدم سواء "ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بهما".

فالقتلة الصغار قطيع ضال، وقد يزيد في الضلال عن القتلة الكبار، وقد يدانهم في المسؤولية عن جريمة القتل، ولأنهم ضرورة لأي نموذج طغiani شمولي، ضرورة أولية من حيث احتياج الطاغية للعبيد، وضرورة عملية من حيث احتياج

الطاغية للجنود، وهم ضرورة لأي إيديولوجيا تقيم بنيانها على أساس من الكراهية، أو على أساس من تجسيد القيم المتعالية في الذات، إيديولوجيا حلولية من نوع "شعب الله المختار"، "المقاومة الوحيدة للاستعمار"، "مذهب المغضوبين"؛ لأنهم كذلك، فهم لبنيات ناتئة ومتقيحة في جسد بنيان القتلة، ولها من التشوهات ما يميّزها عن بقية تشوهات ذلك الجسد، الموسوم بالظلم والإجرام.

والقتلة الصغار، أشدّ ضلالاً من القتلة الكبار، لأنهم مقودون من وجهين، من جهة اتباع الهوى الذي يشاركون فيه القتلة الكبار، ومن جهة اتباعهم للقتلة الكبار، ثم هم أشدّ ضلالاً، لأنهم يحملون أنفسهم، متبرعين طائعين، من الأوزار التي أمكنهم إلا يحملوها، أو لا منفعة لهم بحملها، أو هي منفعة رديئة مرنوّلة، بينما يدرك القتلة الكبار ما يفعلون، ويعلمون الحقائق وإن معهم الكبر والعناد من اتباعها، ثم هم، أي القتلة الكبار، يعانون لأجل مصالحهم هم، الثمينة بمعيار الحياة الدنيا، وقد صور القرآن هذه المفارقة حينما يشارك الأتباع سادتهم عذاب جهنم، وقد أمكنهم، من قبل، ألا يشاركونه لو امتنعوا عن اتباعهم، فصارت تبعيّتهم، حسرات عليهم مرتين، مرة باشتراكهم في العذاب، ومرة ببراءة المتبعين منهم.

والقتلة الصغار في ذلك كله، دون الجنود المقاتلين ببنادقهم، فهم خارج ميدان القتال، وقد يكونون في جغرافيا أخرى، ولكنّهم يصرّون على تحمل أنفسهم الأوزار العظيمة، بل أعظم الأوزار، أوزار القتل والظلم، بالسنتهم وقلوبهم، بلا أي سبب قابل للفهم، سوى عمى القلوب التي في الصدور، وتعطل القوى المدركة فيهم عن إبصار الحق، انحطاطاً من عند أنفسهم، لما اتخذوا لهم آلهة من دون الله، اتخذوا أهواهم آلهة، أو متبعهم الذي جسّدوا فيه قيمة متميزة، على غرار "شعب الله المختار"، أو "محور المقاومة".

ولو تأملنا كيف تطّوّع القتلة الصغار على طريق الوضاعة، والتبعية العمّياء، والتنازل عن الوظائف الجوهرية للحواس التي تميّز الإنسان عن الأنعام؛ في الموضوع السوري، لوجندهم كيف تدرجوا مع سادتهم، من نفي أي شيء في سوريا، ثم نفي القتل والجريمة وإحالة المشاهد الحقيقة إلى اصطناع "خصوم المقاومة، وعملاء أمريكا"، من دول، وأفراد، وقنوات تلفزيونية، وحركات وأحزاب، إلى ازدراء القيم الآدمية، حينما عجزوا عن نفي الجرائم المترافق، محتاجين، بأنه لا اعتبار لهذه القيم في الصراع ضد "المؤامرة الكونية" بما هي مؤامرة استعمارية، ثم عادوا مع سادتهم لاعتبار القيم الآدمية واتخاذها وسيلة للطعن في خصومهم، حينما تعلقت المظلومية ببعضهم، أي بحرب السعودية والホئويين، إذ إنّ الأمر كله قائِم في الأساس على عصبية "شعب الله المختار".

وقد كانوا يرفضون أي مقاربة لجرائم النظام السوري بالعدو الصهيوني، على اعتبار أن لا جريمة تفوق الجريمة الصهيونية، وأن كل تعظيم لأي جريمة غير صهيونية عمالة من وجه ما للصهاينة، وإذا بالصهاينة وداعش وكل خصومهم، وعلى لسان سيدهم، أي نصر الله، أعظم جريمة من "إسرائيل" وأولى بالحرب منها، دون أن يشعر الأتباع بأي قدر من التناقض واحتراف الذات، ثم لما كانت الجريمة في حلب أكبر من أن تغطيها دعاياتهم الزائفة، ليسوا الحق بالباطل، وجعلوا القتيل قاتل نفسه، واستدخلوا كل ما أمكن استدخاله من أسماء معارضة ومقاتلين من خارج صفّ النظام وحلفائه، ودول وأحزاب وشخصيات وقنوات تلفزيونية، للقول مثلاً، إن من دمر حلب على رؤوس أهلها، كانت الجزيرة، لا البرملي المتفجر، في استعادة لنفس منطق المتصهينين العرب فيما تعلق بالحروب على غزة، ولا عجب، فالأمر كله راجع إلى عبادة العجل المقدس، فال مختلفون، من شيعة إيران إلى شيعة الصهاينة، سواء في هذا!

وما أحمق هؤلاء، إذ منع الله أيديهم عن دماء المظلومين، فأصرّوا أن يغمسو ألسنتهم بتلك الدماء، ويحملوا على ظهورهم أوزار المجرمين القتلة، فإن لم تكن هذه هي الضلالـة فـما الضلالـة؟ وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم، "لن يزال المؤمن في

فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حراماً.

عربى 21

المصادر: